محاضرات النقد الأدبي الحديث

المرحلة الرابعة | أ.د. فيصل غازي - أ.د. سحر ريسان

ثالثاً: المناهج ما بعد النصية (ما بعد الحداثة)

هي مجموعة من المناهج والتيارات النقدية التي ظهرت في مرحلة (ما بعد الحداثة) أي ما بين الستينيات والتسعينيات من القرن الماضي، وهي مرحلة تلت المرحلة البنيوية التي أعلت من سلطان النص الأدبي وجعلت القيمة المركزية له. فجاءت مرحلة ما بعد الحداثة وبدأت من نهاية العقد السادس من القرن العشرين، وهي تمثل الفكر الغربي من حيث سيادة روح الشك وفقدان اليقين، والتحول من سلطة النص إلى سلطة القراءة، وبذلك ظهرت موجة نقدية جديدة، تنظر إلى النص الأدبي من وجهة نظر القارئ فقط وعملت على تحجيم الأطراف الأخرى (المؤلف - النص).

أ- نظريات القراءة والتلقي

اتجاه نقدي ظهر في ألمانيا في ستينات القرن الماضي وتحديداً في جامعة (كونستانس) على يد (هـ. ر. ياوس) و(ف. آيزر) وتزامن مع هذا الاتجاه الألماني الجهود التي بذلها الناقد الأمريكي (ستانلي فيش) وهو يدعم هذه الأفكار التي ستحول اتجاه النقد من المركزية النصية إلى مركزية القارئ والقراءة.

وبهذا تم الإعلان عن تشكيل اتجاه نقدي جديد أراد له أصحابه أن يكون تحدياً لهيمنة الاتجاهات النقدية المتجهة إلى النص وإعلاء سلطة بديلة، هي سلطة (القارئ)؛ متلقي النص الذي وجدوا فيه ركناً أساسياً من أركان العملية الإبداعية لا يمكن تجاهله؛ لأنه هو من يسهم في صناعة المعنى.

لقد أراد كل من (ياوس) و(آيزر) تحديد مفهوم جديد للعملية النقدية ولمقاربة النصوص الأدبية، وهذا التحديد يقوم بمعرفة الطريقة التي يتم بها تلقي النصوص الأدبية، وظروف هذا التلقي، ومستوياته، وأشكاله، ودور القارئ الفاعل في عملية بناء المعنى. وسعى هذا الاتجاه إلى بلورة خطاب نقدي يحتفي بالعلاقة المتبادلة بين النص والقارئ انطلاقاً من إيمان بما للقارئ من أثر فاعل مهم في صياغة العمل الأدبي، وتكريساً لرؤية ترى في القراءة فعالية تسعى إلى إعادة كتابة النص المنتج للقراءة، وذلك عن طريق استبدال دراسة النص الأدبي من خلال المرسل (المؤلف).

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

مستويات القراءة الإنتاجية: تمر القراءة عند المتلقي بمستويين: **المستوى الأول (السطحي)** يفهم من خلاله القارئ الهيكل الخارجي للنص الأدبي بما يتضمنه من معطيات لغوية وأسلوبية. و**المستوى الثاني (العميق)** وفيه يلتقي القارئ بعوالم النص الداخلية وهو ما يحتاج إلى إعمال الذهن والخيال والقدرات الإدراكية، وتبدو أمامه فراغات عليه أن يستكملها ليشارك في صنع المعنى.

ولنظريات التلقي مرجعيات متعددة ومختلفة تبدأ من المنهج التأثري الذي حاول أن يعطي دوراً مميزاً للقارئ في العملية الإبداعية، وجهود الحركة الشكلانية الروسية، والبنيوية، وآراء (رولان بارت) وخصوصاً في كتابه (لذة النص) الذي جعل فيه القارئ متساوياً مع المؤلف، والتفكيكية، والجهود الفلسفية لـ (انغاردن) و(غادامير).

إذًا نظريات التلقي: هي إعادة الإنتاج والاستيعاب والتقييم النقدي لنتاج أدبي أو لعناصره بدمجه في علاقات أوسع. وهذا يعني أن القراءة ليست عملية سلبية ولا هي مجرد استهلاك الأدب، وإنما هي عملية فاعلة في الفهم وإعادة الإنتاج، وهذا خلاف ما كانت عليه الدراسات والمناهج النقدية السابقة التي كانت ترى أن الوظيفة الوحيدة للقارئ وللقراءة هي التوسط بين النصوص الأدبية والمتلقي لها.

مصطلحات نظريات القراءة والتلقي

1- أفق الانتظار (التوقع):

مصطلح صاغه (ياوس) أحد أقطاب نظريات التلقي، ويحاول من خلاله أن يوفق بين الشكلانية الروسية التي تتجاهل التاريخ، والنظريات الماركسية الاجتماعية التي تتجاهل النص، لذلك سعى إلى تجديد تاريخ الأدب، مركزاً على دور القراء والمتلقين في تأسيس نظرة جديدة لذلك التاريخ. ويؤكد (ياوس) أن لكل قارئ معياراً خاصاً يستقبل به النص، فهو يشكل نظامه المرجعي ويطلق عليه (أفق انتظار القارئ) وهو التهيؤ المسبق لاستقبال النص وتذوقه، ويعد هذا المعيار خبرة جمالية تختلف من شخص إلى آخر بحسب ثقافته ووضعه الاجتماعي.

ويتشكل أفق انتظار القارئ من العناصر الآتية:

- معرفة القارئ المسبقة بخصوصية كتابة النص المقبل على قراءته.
- تجربته الخاصة في مجال نوع أو غرض أدبي معين.
- درايته العامة بالأشكال التي ميزت أعمالاً سابقة.
- إدراك القارئ الفرق بين التجربة الواقعية والتجربة النصية، وبين اللغة العلمية واللغة الشعرية.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وكما أن للقارئ أفقاً للانتظار، فإن للنص كذلك أفقه الخاص، وقد يختلف هذا الأفق أو يتفق مع أفق توقع القارئ، ويمكن للنص ذي الفنية العالية، أن يقلب موازين القارئ، ويجعله يعيد النظر في أفق انتظاره، ويسعى (ياوس) لتسمية المسافة الفاصلة بين أفق انتظار المتلقي وأفق النص بـ (المسافة الجمالية) وهي المعيار الذي تقاس به جودة الفن وقيمته.

2- فراغات النص:

وهو مصطلح أطلقه (آيزر) ويعني به أنه لا وجود لمعنى جاهز، وأن القارئ هو من يستخرج المعنى من خلال ما يسمى بفراغات أو فجوات النص، وهو المسكوت عنه أو مواقع اللاتحديد ما يثير القارئ ويحفزه على التفكير. واستمد (آيزر) هذا المفهوم من الفيلسوف (انغاردن).

إن هذه الفراغات تمثل جوهر النص وهي التي تكشف عن قيمته، وهي أماكن غامضة ومهمة يستشعرها القارئ في تعامله مع النص، فتصبح بالنسبة له أهدافاً يسعى إلى تحقيقها، ليمارس خياله وإبداعه، وعملية إكمال هذه الفراغات هي عملية إبداعية توازي عملية تأليف النص نفسه.

مبادئ نظريات القراءة والتلقي

- القارئ هو المستهدف في أي عمل أدبي، ولا قيمة لذلك العمل إلا في أثناء قراءته، لأن القراءة تحقق التفاعل بين القارئ والنص.
- إن النص، بطبيعته المجازية، نص مفتوح، يسمح بتعدد القراءات وهذا التعدد هو الذي يخصب النص الأدبي ويغنيه.
- تستبعد نظرية التلقي فكرة الحصول على المعنى الثابت والجاهز من النص الأدبي.
- هناك نصوص قرائية تستهلك بالقراءة فلا يعاد تحقيقها، وهناك نصوص كتابية تعاد قراءتها وتتجدد بنيتها مع كل قراءة.
- تعمل نظريات التلقي على استبعاد المرجعيات الخارجية والداخلية التقليدية للنصوص وتحريرها من وظائفها كوثائق تاريخية مغلقة.

أنماط القراء على وفق نظريات التلقي

- **القارئ المثالي:** وهو القارئ المفترض الذي يفهم النص، ويؤوله على نحو ما يتماشى مع بنية النص ومراميه الأساسية.
- **القارئ الضمني:** يعود هذا المصطلح إلى (آيزر)، والقارئ الضمني ليس له وجود مادي بل هو بنية داخل النص تدفع المتلقي لإنجاز وتحقيق النص وفك مغالقه الساكنة.
- **القارئ المستهلك:**وهذا القارئ يختص بقراءة الهدف منها التذوق السطحي والاستمتاع العابر من غير غوص في دلالات النص العميقة.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

ب- نظرية التأويل (الهيرمينوطيقا)

ارتبط التأويل بالفلسفة واللاهوت منذ زمن بعيد، وتغلغل إلى النقد الأدبي من بوابة الفلسفة بعد أن استقر مع الدراسات اللاهوتية والتأويلات الرمزية القديمة. وإذا كان التأويل مرتبطاً إلى حدٍ ما بالفهم والتفسير، فإن هذا كان مدخلاً مناسباً لانتقال التأويل من فعالية فلسفية إلى ممارسة نقدية القصد منها التفاعل مع النصوص الأدبية، وكشف المعاني الغامضة والأبعاد الخفية للنصوص الأدبية.

ولعل الحد الذي يمكننا من خلاله التمييز بين (التفسير) و(التأويل) أن التفسير هو الأخذ بالظاهر، بحيث يتماشى كلام المفسر مع أقرب ما يتبادر إلى الذهن من العبارات السطحية والمباشرة. أما في التأويل، فالمؤول يبحث في شيء آخر وراء هذا الظاهر، ولا نراه مكتفياً بالمعنى السطحي المباشر بل يصرف اللفظ إلى معنى محتمل يقع خلف بنية النص الكلاسيكية.

وقد ارتبط مصطلح (التأويل) بمصطلح آخر هو (الهيرمينوطيقا) الذي يعني نظرية التأويل وممارسته، وهي العلم الذي يبحث في آليات الفهم، وقد بدأت في الفكر الغربي الحديث منذ القرن السابع عشر عندما انفصلت عن مجال فهم النصوص الدينية لتصبح علماً مستقلاً بذاته يناقش عمليات الفهم وآليات التأويل الفلسفية والأدبية.

نظرية التأويل بين المرجعيات والاتجاهات التاريخية

1- نظرية (فردريك شلايرماخر) 1768- 1834:

يعد هذا الفيلسوف الألماني أول من حاول وضع أسس واضحة لمعالم مفهوم (الهيرمينوطيقا) خارج الإطار الديني، بوصفها منهجاً وأداة للاشتغال على النصوص المختلفة مع بيان بنيتها الداخلية ووظيفتها المعرفية. وأكد شلايرماخر على أهمية الجانبين اللغوي والتاريخي، ويرى أنه لفهم النص يجب التركيز على جانبين: الحالة النفسية للكاتب أثناء الكتابة، والظروف التاريخية واللغوية التي كُتب فيها النص.

2- نظرية (فيلهلم ديلثاي) 1833- 1911م:

قدم الهيرمينوطيقا كأساس لتحليل وتأويل العلوم الإنسانية عبر خطين: الأول (**الحلقة الهيرمينوطيقية**)والتي تعني أنه لكي نفهم أجزاء أية وحدة لغوية لا بد أن نتعامل مع هذه الأجزاء ولدينا حس مسبق بالمعنى الكلي، ولا نعرف المعنى الكلي إلا عبر أجزائه. والثاني ينطلق من أن الفهم الحقيقي يتأسس على استعادة القارئ للتجربة الحيوية الكامنة في النص.

3- نظرية (جورج هانز غادامير) 1900- 2002م:

اقترنت التأويلية المعاصرة باسمه، حيث طرحها كنظرية لفهم النص قائمة على مصطلح (**انصهار الآفاق**)، ويقصد به أن عملية الفهم لا تحصر نفسها في الماضي (تاريخ النص) بل هي

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

حوار وجدل مستمر بين آفاق المؤول في الحاضر وآفاق النص التاريخية في الماضي، وبانصهارهما يتحقق الفهم الحقيقي المتجدد.

تابع: الاتجاهات والنظريات الإضافية لما بعد النصية

1- التفكيكية (التشريحية):

حركة نقدية فلسفية ظهرت في فرنسا في أواخر الستينيات على يد (جاك ديريدا)، تقوم على تقويض وبناء المفاهيم المستقرة في الفكر الغربي، وترفض فكرة وجود معنى ثابت أو مركز مستقر للنص الأدبي؛ فالمعنى عندها غير نهائي ومؤجل باستمرار (الاختلاف والمرجأ).

2- النقد الثقافي:

اتجاه نقدي تجاوز التركيز الجمالي البحت للنص ليدرسه بوصفه ظاهرة ثقافية وسياقاً اجتماعياً وسياسياً. لا يهتم بجودة النص الفنية بل يبحث في الأنساق الثقافية المضمرة (الخفية) كخطابات السلطة والهيمنة، ومن أبرز رواده (إدوارد سعيد) و(عبد الله الغذامي).

3- النقد النسوي (النسوية):

حركة نقدية تهدف إلى إعادة قراءة الأدب وتاريخه من منظور تجربة المرأة، وتفكيك البنية الذكورية المهيمنة على الخطاب الأدبي، وإبراز الخصوصية الإبداعية للكتابة النسوية ومواجهة التهميش التاريخي لصوتها.

4- نقد ما بعد الكولونيالية (ما بعد الاستعمار):

اتجاه نقدي يدرس الآثار الثقافية والفكرية والاجتماعية التي تركها الاستعمار في شعوب المستعمرات السابقة، ويفكك الخطاب الاستعماري الغربي وصياغته لصورة "الآخر" الشرقي، ويعتبر كتاب "الاستشراق" لإدوارد سعيد حجر الأساس له.

5- التاريخانية الجديدة:

منهج نقدي ظهر في ثمانينيات القرن الماضي يعيد ربط النص بسياقه التاريخي برؤية ديناميكية ترى أن النص لا يعكس التاريخ ببساطة، بل هو جزء من صناعة التاريخ وصراعات القوة والسلطة في عصره، فالأدب والتاريخ يتبادلان التأثير كخطابات متداخلة.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner